بيت الخطيب الولي الصالح القاضي
أبو عبد الله الطنجالي الهاشمي (ت753هـ)

مع ملحق ضمنته رسالة من تأليفه بعنوان:
تحقيق الكلام في براءة يوسف عليه السلام

بقلم
عبد الرحيم الإسماعيلي(*)

ملخص

تعد هذه المقالة العلمية التي ترصد سير علماء بلاد المغرب الإسلامي، وتكشف تراثهم مخطوطا، أو مطبوعا، أو مفقودا واحدة من مشروع علمي كبير. ومن ذلك أركان البيت الطنجالي الهاشمي، وكشف امتداداتهم بهذه الأقطار المتنامية الأطراف. مع ملحق عبارة عن رسالة عنوانها: تحقيق الكلام في براءة يوسف عليه السلام، من تأليف أبي عبد الله الطنجالي، موضوعها الدفاع عن نبي الله يوسف عليه السلام، وتبرئته مما وصفته به الحشوية، مع الرد على بعض الأقوال الشاذة التي تطعن في براءة نبي الله يوسف عليه السلام، مما أعطى للرسالة أهميتها وبوأها مقاما محمودا عندي للعناية بها، ضبطا، وإخراجا، وعناية، وما إلى ذلك مما يجوِّدها ويقدمها في صورة تليق بها وبصاحبها.

الكلمات المفتاحية: البيت الطنجالي؛ يوسف عليه السلام؛ تحقيق الكلام؛ الغرب الإسلامي.

(*) دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط ـ جامعة القرويين ـ المملكة المغربية.
abderrahim.elismaili01@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/08/27 تاريخ القبول: 07 /09/ 2019

مقدمة

يعد القصص القرآني من المباحث الجليلة في علم التفسير، وفي التنزيل سورة خاصة بهذا العلم، تفاوت المفسرون في العناية بها توسعا وإيجازا كل حسب جهده وثقافته، وصناعته في تناول القصص القرآني. ولا أخفي إعجابي الكبير بصنيع محمد الطاهر بن عاشور(ت1394هـ) الذي خص المقدمة الأخيرة من مقدِّمات التحرير والتنوير لقصص القرآن، فأبدع فيها وأفاد، فدل تناوله لها على دراية واسعة بالموضوع كما يأتي.

والمتأمل لمشاهد القصة القرآنية يلفيها موزعة في القرآن كله، حيث ناسب ذلك التوزيع فوائدها، لمخالفة ما ورد في كتب التاريخ، والأدب، ونظمت على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير والتبيان أقوى من شبهها بالقصص. ويلحظ الناظر أنها لم تسق مساق الإحماض وتجديد النشاط، وما يحصل للنفس من فثور وضعف وتخاذل، أو ما يحصل لها من استغراب مبلغ الحوادث من خير أو شر؛ لأن غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا، فلو كان من هذا لساوى كثيرا من قصص الأخبار الحسنة الصادقة. وعليه؛ أبصر أهل العلم أن في القصة القرآنية عبرا جمة، وفوائد للأمة، يأخذ القرآن من بعضها أشرف واضعها، ويعرض عما عداه، ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها، والتسلي بأخبارها وما جرياتها.

أسباب اختيار الموضوع:

وراء اختياري الكتابة في هذا الموضوع العلمي موجبين اثنين: علمي وذاتي.

الموجب العلمي: وبيان ذلك يعود إلى أهمية تاريخ الفكر الإسلامي وما يحوي من معارف وعلوم، كالقرآن والحديث والتفسير والفقه وغير ذلك. فقد دل تتبع كتب الفهارس والتراجم والأثبات والمشيخات ريادة بيوتات علمية كبيرة في رواية مختلف

العلوم. وانصرفت عناية بعض الدارسين إلى هذا الباب فعرفت بجهودهم، وكان من ذلك أن وقفت على بيت القاضي أبي عبد الله الطنجالي، ورأيت دوره في حفظ العلوم ونقلها.

الموجب الذاتي: يرتبط بمساري البحثي واهتمامي بتراث الأندلس عموما والمغرب الأقصى خصوصا. فقد اخترت الدفاع عن تراث أسلافنا، تعريفا، ووصفا، وتحقيقا، وتأليفا. ومن ذلكم بعض الأسر العلمية التي تركت لنا آثارا علمية محمودة، لاسيما في تكوين جيل من أعلام الفردوس المفقود، رغم ضياع أغلب مؤلفاتها.

إشكال البحث:

يثير البحث إشكالا حضاريا كبيرا، ينصرف إلى بيان بيت أبي عبد الله الطنجالي، وأصله، وامتداداته؟ ويكشف دوره في تبرئة نبي الله يوسف عليه السلام مما وصفته به بعض الفرق كالحشوية، فضلا عما توهمه كثير من ضعفاء العقيدة الذين اتهموه عليه السلام، وزعموا أن التهمة حاصلة، وأولوا قولا لابن عباس تأويلا فاسدا، مما حرك همم العلماء للرد عليهم ورفع قلق هذا الإشكال، ومن جملتهم القاضي أبو عبد الله الطنجالي.

أهداف البحث:

يروم البحث تحقيق جملة من الأهداف، أذكر بعضها:

1.كشف اللثام عن أسرة علمية عريقة في تاريخ الأندلس. لها أثر علمي محمود، يتمثل في حجم التلاميذ الذين أخذوا عن أبناء البيت الطنجالي وعقبهم الممتد في تاريخ الفردوس المفقود.

2. يتطلع البحث أيضا إلى بيان دور العلاقة العلمية التي تنظم أسرة أبي عبد الله

الطنجالي، وتبين امتدادات هذا البيت العلمي الضارب في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي.

3.يبرز البحث أهمية تلاميذ المدرسة الطنجالية في الخطابة والصلاح والقضاء، ومن ذلك كشف علاقة بيت ابن جزي الغرناطي الذي له حضور طريف في الباب.

4. من أهداف البحث العناية بتراث علماء الغرب الإسلامي، لاسيما خدمة رسالة لطيفة في بابها تكشف تعلق علماء هذا القطر المتنامي الأطراف بالأنبياء عليهم السلام، وتوضح تفانيهم في الدفاع عن أمة الإسلام.

منهج الدراسة والبحث:

سلكت في إنجاز البحث منهجا وصفيا تحليليا مقارنا نقديا، حيث تتبعت تراجم أعلام البيت الطنجالي، وبينت العلاقات الناظمة لهذه الأسرة، وقد أخذ مني النظر البحثي جهدا طويلا لتداخل الأسماء والكنى والألقاب وتكاثرها. وزاد صعوبة البحث فيها اختلاف تلامذة أبي عبد الله الطنجالي في تحديد وفاته -رحمه الله- كالبناهي وابن الخطيب، الشيء الذي صعب علي حسم الإشكال ورفعه، فكنت مضطرا إلى نقد مصادر الترجمة وتثويرها بغية حسم الخلاف وسيتعرف الباحث على صعوبة ذلك في ثنايا البحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة استأثرت بأهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهج تناوله، وخطته، ومحورين، أفردت الأول للدراسة، ووزعته على فصلين، خص الأول بتتبع أسرة أبي عبد الله الطنجالي، وامتدادات عقبهم، وتلامذتهم، وشيوخهم، وعلاقاتهم، وشريف نسبهم؛ لأجل كشف الخيوط الناظمة بينهم، ثم أفردت المستوى الثاني للتعريف بالرسالة، فبينت موضوعها، وغايتها، ومنهج المؤلف، ومصادره،

وخصائص أسلوبه، وما يقتضيه البحث في الباب، مجتهدا في تحقيق نسبة الرسالة إلى صاحبها، ثم انصرف المحور الثاني -الذي جعلته ملحقا- إلى العناية بالنص والاهتمام به تخريجا، وتوثيقا، وتعليقا، وخاتمة تنظم ما تفرق.

بين يدي جلالة قصة يوسف عليه السلام وعظمتها

لجلالة قصة يوسف في كتاب الله المجيد وأهميتها في الإسلام، وقفت مع نظر الإمام الطاهر ابن عاشور الذي استنبط من قصة يوسف عليه السلام فوائد غاية، جمع فيها بين التشريع، والآداب، والأخلاق، والتاريخ، والبلاغة، والإعجاز[1]. وقد أفاض -رحمه الله- في تثوير معاني القصص القرآني، فأفاد في ذكر خصائصها، وعد منها طي ما يقتضيه الكلام الوارد، ومثل لذلك بقصة يوسف، متناولا مقاطع من آي الكتاب المجيد، نحو قوله تعالى: ﴿**واستبقا الباب**﴾ [يوسف:25] فقد طوي ذكر حضور سيدها، وطرقه الباب وإسراعهما إليه لفتحه، فإسراع يوسف ليقطع عليها ما توسمه فيها من المكر به لتري سيدها أنه أراد بها سوءا وإسراعها هي لضد ذلك، لتكون البادئة بالحكاية فتقطع على يوسف ما توسمته فيه من شكاية، فدل على ذلك ما بعده من قولها: ﴿**وألفيا سيدها لدى الباب، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا**﴾ [يوسف:25].

وقد صور الله عز وجل في كتابه الكريم، مشاهدها وأحداثها في مستويات متناسقة ومتساوقة، ونظمها في عقد فريد، ذلكم أن أجود ما ورد في قصة يوسف عليه السلام ابتلاؤه من الله عز وجل وامتحانه، فكان الكيد من إخوته عليه السلام، ومن زوجة العزيز زليخة. ومعلوم أن قصة يوسف عليه السلام نعتها الله عز وجل بكونها أحسن القَصَص، لما فيها من العبر، والحكم، والنكت، والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سِيَرِ الملوك، والمماليك، والعلماء، ومكر النساء، وصبر الأنبياء على أذى الأعداء. وفي هذا السياق يتوسل ابن عطاء الله السكندري (ت709هـ) في مناجاته،

بأن المحزون الذي يقرأ سورة يوسف، يذهب عنه الحزن، حكى ذلك عنه طائفة من أهل التفسير، وممن نقل ذلك السمعاني (ت489هـ)[2]، والبغوي (ت516هـ)[3]، وابن الجوزي (ت795هـ)[4]، والألوسي (ت1270هـ)[5] وغيرهم كثير.

إن المتأمل لروح القصة في كتاب الله تعالى، يدرك أن الله علا شأنه أورد القصة في غاية النظم والانسجام، ومن صور ذلك أن وافق مطلعها خاتمتها، فقد ورد في بُداءتها قول الله عز وجل: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ [يوسف:3] وورد في خاتمتها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**﴾ [يوسف:111] وتجيء التعقيبات في أول القصة وآخرها، وبين ثناياها متناسقة مع موضوع القصة، وطريقة أدائها، وعباراتها كذلك، فتحقق المقصد الإلهي كاملا، مع صدق الرواية ومطابقة الواقع، مما وجه العلماء إلى التأليف في قصة يوسف وإفرادها بدراسات نفيسة، بل تعدى ذلك إلى عقد مقارنة بين ما ورد في السورة في القرآن الكريم، وعلم مقارنة الأديان، لأجل بيان ما علق بسيدنا يوسف عليه السلام من شُبه مكدِّرة، منها ما رام بيانها العلامة أبي عبد الله الطنجالي، وهو من رجال القرن الهجري الثامن، عصر ابن لب، والشاطبي، وأبو عبد الله التلمساني، وابن الخطيب، وابن منظور وغيرهم من أفذاذ العلماء الذين تركوا بصمة واضحة في مسارات الفكر عموما، ومنهم ابن جزي الكلبي، وابن لب اللذان كان لهما النصيب الأوفى في التاريخ، وهما من تلاميذ أبي عبد الله الطنجالي.

تناول المؤلف –رحمه الله– القصة تناولا شاملا منطلقا من مضمونها العام، رادّاً كلَّ الأقوالِ الباطِلَةِ التي التصقت بالقصة من بعض الفرق **كالحشوية** وغيرهم. فكان بسبقه وسبكه حائزا تفضيلا.

ودلَّتِ القصَّةُ أيضاً عِندي على إبراز خُصُوصِيَةِ المغاربة في حُبِّهم للرسل الكرام

عليهم السلام، ودِفَاعِهم المستميت عنهم بما يحملوه من شوق إلى مقام الأنبياء عليهم السلام. ومن ثم فالشاهِد الذي يضعنا في سياق القصَّة والمتعالَم عندنا، الوقوف على قيمة الحواضر العلمية التي عَبَرها الطنجاليون وبعضا من عقبهم، أو استوطنوها كمالقة، ولوشة، وغرناطة، فما أخبار تلكم البلدان والمراكز العلمية؟

حاضرة لوشة مهد الطنجاليين

(لوْشَة) بفتح اللام، ثم سكون الواو، وشين معجمة (loja) مدينة بالأندلس غربي إلبيرة قبل قرطبة، وهي مدينة طيبة على نهر سنجل نهر غرناطة[6]، بها سكن الطنجاليونَ، ونافَسُوا على تسْيير الحُكْم بها، ولا تَكْفِنَا الإشاراتُ الدالَّة على ذلك، باستثناء ما أفادنا به الشاعر لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) أن جَدَّهُمُ الأعلَى قَدِمَ إليها، ومنْها تسلل نسلهم، ثُم عُيِّنَ خطيبا مفوَّهاً بِها، حتى ناداهُ الناسُ بذلك، فلازمه اللقبُ وصار لصيقاً بأبنائه من بعده. ثم انتقل جد لسان الدين بن الخطيب من جهة أبيه من (لوشة) إلى حاضرة (غرناطة)، لما نافسه جيرته بنو الطنجالي الهاشميون، ثم تزوج من إحدى قريبات زوجة السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف النّصري (ت701هـ)، ما أحكم الصّلة بينه وبين القصر[7]. وهكذا صار لهم ذكْرٌ في السياسة والأعمال، لكنه توفي عند دخول العدو إليها، واستيلاؤه على أجزائها، وتغلب على بلده.

غرناطة الأندلس الصغيرة

وأما عن غرناطة فلا نملك إلا الاعتراف بكون أحوالها تبدلت اليوم، حيث عدت مدينة إسبانية متوسطة الحجم، شوارعها واسعة، تقوم مبانيها فوق ربوة صخرية عالية، ويقوم البعض الآخر في منخفض الوادي، ويخترقها نهر شنيل من الشمال. تغنى بها ابن الخطيب كثيرا، ومدحها بأسماء غاية، إذ كان يسميها (بنت الخضرة)، أي بنت غرناطة، وأحيانا (فتية غرناطة). لأنها كانت يومئذ أعظم مركز للدراسات الإسلامية

في بلاد الغرب الإسلامي، إلى جانب قرطبة، ومالقة، ودانية، وباجة، ومرسية، وبلنسية، ونظرا لما تفردت به غرناطة من علوم ومعارف؛ سميت بالأندلس الصغيرة.

ألف فيها المتقدمون والمتأخرون، كل واحد سرد أخبارها وما جرى فيها بخلفيته المعرفية ومنهجيته المعهودة عنده، ومن أجود ما ألف فيها **الإحاطة في أخبار غرناطة** لابنها البار الشاعر الأديب لسان الدين بن الخطيب حيث وصفها جغرافيا، وذكر أعلامها، ومواقعها الأثرية، وأنهارها، ومن نزل بها من الأمراء والشعراء والأدباء. ومما جاء في أخبارها: (فهي في وقتنا هذا قاعدة الدنيا، وقرارة العليا، وحاضرة السلطان، وقبّة العدل والإحسان. لا يعدلها في داخلها ولا خارجها بلد من البلدان، ولا يضاهيها في اتّساع عمارتها، وطيب قرارتها، وطن من الأوطان. ولا يأتي على حصر أوصاف جمالها، وعدّ أصناف جلالها، قلم البيان)[8].

ولم تسفعنا النصوص التي توصلنا إليها في وصف أسرة الطنجاليين، وما أثاروه بغرناطة، ولم تفدنا المرويات كثيرا في وصف أحوالهم، وطرق بث علومِهِم، بل جملةُ ما انتهى إليه النظر أنهم سكنوا غرناطة، ودرَّسُوا بها، وأخذ عنهم جم غفير من علماء الأندلس، وكانت بينهم وبين ابن الخطيب مصاهرة، ومنافسة. فهل تحقق ما يفيد في باقي الحواضر كمالقة؟

مالقة الدار والقرار

تفيد المصادر التي اطلعنا عليها أن بعضَ عَقِبِهِم انتقلَ إلى مالَقَة، وهِي يَوْمَئِذ من أهم حَوَاضر الأندَلُسِ التي يَجِبُ العنايةُ بها فقد سَكَنَها أبو عبد الله الطنجالي (ت651هـ) جدهم الأعلى، قبل أن يدخل غرناطة كما صرح بذلك ابن الخطيب نفسه. بَيْدَ أننا لم نقف على أهم الأحداث التي عايشها الطنجاليونَ هناك، ولا أحوالهم ومجالسَهُم، وأخبارهم؛ بل جملة ما انتهى إليه نظرنا إشارات عاجلة قيدناها أثناء تتبعنا

بعضا من تلامذة المؤلف أبي عبد الله الطنجالي، وابنه أبي بكر، فهو المدخل الوحيد الذي يفسِّر لنا مدة مكوت الطنجاليين هناك.

اكتفى ابن الخطيب في **الإحاطة**، والمقري في **نفح الطيب** بإشارات محتشمة تكشف عن طائفة من الأعلام الذين تلقوا عن أبي عبد الله الطنجالي، وهي إلمامات دالة على أن الطنجاليين استوطنوا مالقة، وساروا علماءَ كبار بها؛ بل أصبحوا محدثين، وفقهاء، وخطباء، وقضاة بها فحكموا مدة من زمانهم هناك، وأخذ عنهم جمٌّ غفير كما يأتي في تتبع تلامذتهم المالَقيين.

الطنجاليون ودلالة الاسم

لم أقف على بيان نسبة الطنجاليين إلى مدينة طنجة الواقعة شمال المملكة المغربية، رغم بحثي الطويل عن ذلك، واستفسار المتخصصين في تاريخ الأندلس.

يقول ابن الخطيب في سياق ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين (ت747هـ)، وهو من تلامذة الطنجالي (...سمع بحضرة غرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وعلى العدل أبي الحسن بن مستقور، وعلى الوزير أبي محمد بن المؤذن، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رشيد. **وبمالقة على الخطيب ولي الله تعالى أبي عبد الله الطنجالي**[9]. مما يؤكد بلوغه مرتبة التدريس بها، ثم يواصل ابن الخطيب في إفادتنا ببعض الإشارات الملتقطة من تراجم الأعلام، كتلميذه محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي المتوفى منتصف القرن الهجري السابع، حيث حلاه بقوله:

(مرسي الأصل، غرناطي النشأة، مالَقي الإسكان، يكنى أبا عبد الله، توفي بمالقة (652هـ)، وأَوْصَى بعد أن حفَر قبره بين شيخيه الخطيبين أبي **عبد الله الطّنجالي وأبي** عثمان بن عيسى أن يدفن به)[10]. ويظهر من هاذه القصة أن أبا عبد الله الطنجالي (ت651هـ) هذا إنما هو شيخهم الأعلى، وهو الذي أخذ عنه علي بن باق الأموي، كما

يأتي تفصيل ترجمته.

ومن تلامذة الطنجالي أيضا المالَقيين محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري (ت750هـ) من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا...أخذ عن الجلّة من أهل بلده، كالأستاذ أبي محمد بن أبي السّداد الباهلي، لازمه وانتفع به، والخطيب أبي عثمان بن عيسى أخذ عنه، **والولي أبي عبد الله الطنجالي**[11].

ومن ذلك أيضا ما ورد في ترجمة تلميذه المتكلم الفقيه الفاسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّميمي التَّسِلِي[12] الكرسوطي من أهل فاس، **نزيل مالقة**...روى الحديث بسبتة عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هانئ، وَذَاكَرَ أبا الحسن بن وشّاش...**وبمالَقَة عن الخطيب الصالح الطنجالي**، وأبي عمرو بن منظور[13].

إن الطنجاليين الذين استوطنوا مالقة إنما صاروا جلة علمائها، وأعيانها، وفقهائها، ومحدثيها بعدما قويت شوكتهم علميا وسياسيا، فمن هو شيخ الطنجاليين، وما هي أصولهم الممتدة في تاريخ الفردوس المفقود؟.

اهتدى البحث إلى أن أول من لقب بالطنجالي هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، وأبو جعفر أحمد بن يوسف الطنجاليان، وهما إخوة حسب حكاية محقق **الذيل والتكملة** لابن عبد الملك المراكشي(ت703هـ) إحسان عباس، حيث أورد ذلك في سياق تتبع شيوخ ابن عبد الملك المراكشي. ويؤسفنا أننا لا نملك غير هذه الإفادة الصريحة من المحقق! وإن كان ابن عبد الملك نفسه تفرد بأسرار لا نجد لها ذكرا في باقي المصادر المهتمة بالبيت الطنجالي، لاسيما **المرقبة العليا** لأبي الحسن البناهي (ت792هـ) **والإحاطة في أخبار غرناطة** لابن الخطيب، **ونفح الطيب** لأبي العباس أحمد

ابن محمد المقري (ت1041هـ) والنظر عندنا أن ما كتبه ابن عبد الملك عن الطنجاليين، ضاع مما ضاع من نصوصه، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ومما التقطناه من إفادات ابن عبد الملك ما ساقه في ترجمة أبي عبدالله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الذي عمر طويلا فأربى على المائة، إذ ولد سنة (510هـ)، وتوفي سنة: (614هـ)، وذكر أن آخر الرواة عنه بالأندلس، شيخه أبو جعفر الطنجالي[14].

ومن أسرار الإبداع التي حكاها ابن عبد الملك، أن أبا عبد الله الطنجالي روى بسنده عن علي بن عبد الصمد بن علي بن محمد بن سعيد الأنصاري، إشبيلي، أبو الحسن، ابن الجنان[15].

ومن ما جريات الطنجالي وأخباره، ما رواه ابن عبد الملك أيضا في ترجمة ابن الفحام (ت644هـ)[16]، حيث انفرد بأسرار عجيبة عن شيخه أبي عبد الله الطنجالي، مبرزا علاقته بشيخه ابن الفحام، يقول: (وقال أبو عبد الله الطنجالي:كنت أصلي كل جمعة إلى جانبه بمقصورة الجامع الأعظم بمالقة، فأسمعه يدعو بذلك إذا سجد، وأسمع أثناء ذلك وقع دموعه على الحصير، فخرج من مجلس إقرائه يوم موته من غير مرض، فلما انتهى إلى منزله، التمس من أهله فطورا، فذهبت لتأتيه بحسو صنع له، فجاءت به إليه فألفته ميتا رحمه الله، فقد قبل الله تعالى دعاءه في تيسير الموت، والله أكرم من أن لا يجيب دعاءه في تيسير ما بعده بفضل الله عز وجل)[17].

وقاد إلطاف النظر وتتبع أصول الطنجاليين وعقبهم في مظان عديدة، رغبة في التقاط نصوص متينة استعدادا لتحليلها ومقارنتها، لإفادة الباحثين في الباب، فلم نقف على ما يريح الخاطر، فبقي في النفس شيء من الشك والظن والحسرة؛ ولعل البحث لبنة من لبنات كشف النصوص الأندلسية المفقودة، تتلوه بحوث أخرى تكشف أركان البيت الطنجالي وامتداداته-إن شاء الله- لأجل التأصيل، والتوصيل،

والتنزيل. وعليه؛ نكتفي بتقديم ما توصلنا إليه وذبجناه في تراجم الأعلام.

1.محمد بن يوسف بن أحمد، المحدث العالم، أبو عبد الله الهاشمي، المالقي، المشهور بالطنجالي (ت653هـ).

نقل الذهبي عن ابن الزبير الغرناطي وهو يصف حال أبي عبد الله الطنجالي، إذ يقول: (محدث، فاضل، نحوي، ورع، زاهد، لازَمَ المحدث أبا محمد عبد الله بن عطية، وسمع عليه، وأكثر عن أبي الحسن علي بن محمد الغافقي، وقرأ على أبي القاسم ابن الطيلسان، وعلى أبي سليمان ابن حوط الله، وطائفة، وكان من أبرع أهل زمانه خطا وأتقنهم، لا يجارى في ذلك، وكان يتكلم بجامع **مالقة على صحيح البخاري** غدوة. ومما أفاده الذهبي نقلا عن ابن الزبير أن أبا عبد الله الطنجالي عاش نحوا من خمسين سنة، صحبته وسمعت منه[18]. ولم يفد الذهبي بأخبار أبي جعفر الطنجالي، ولم أجد غير هاذه الترجمة لأبي عبد الله جدهم الأعلى، رحمهم الله جميعا.

وأنبه إلى أن أبا عبد الله الطنجالي هذا الذي سميته جدهم الأعلى، إنما هو من كبار شيوخ الأندلس وأعلامها، فهو الذي روى تراث أسلافه من علماء الأمة، بل عد رافدا هاما من روافد الخطباء، لا يمكن تجاوزه في الخطب والوعظ والصلاح، دل على ذلك ما نقله ابن عبد الملك في **الذيل والتكملة**، فقد سرد حكاياته وأخباره في مواطن مختلفة، وذكر ما دار بين علماء أجازهم واستجازهم، وهو نظر تحصل لديه، لكونه من شيوخه الكبار الذين تلقى عنهم، كما صرح بذلك في سياقات وأحوال متفاوتة. الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل. أين تتلمذ ابن عبد الملك المراكشي على الراوية أبي عبدالله الطنجالي؟ هل بحاضرة الأندلس، علما أنه لم يجاوز الجزيرة الخضراء[19]، حسب ما ورد في ترجمته، أم تلقى عنها بسبتة وغيرها من حواضر المغرب الأقصى، علما أنه دخل سبتة وما إليها طلبا للعلم، ونسخ المخطوطات، كما جال في غيرها من حواضر أرض المغرب.

للإجابة عن هذا السؤال أبادر بالجواب فأقول: إن ابن عبد الملك تلقى عن شيوخ أجلاء وفدوا إلى مراكش، لا حاجة لعرضهم هنا. ومنهم شيخه أبو الحسن الرعين أبرز شيوخه الذي تربطه به علاقة خاصة؛ بل أجازه، وحلاه بكونه: (الفقيه العارف الأديب المحصل)[20]. وعندي أن ابن عبد الملك تتلمذ على الطنجاليين، أبي جعفر، وأبي عبد الله. إلا أن الوقوف على تفاصيل وحيثيات التلقي والتملذة فاتنا.

إن أهم الشواهد الصادقة على أن أسرة أبي عبد الله الطنجالي كانت عالمة، ما ورد في ترجمة تلميذه محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري جيّاني الأصل **مالَقِيه**، يكنى أبا عبد الله[...]حفظ كتبا **كرسالة** أبي محمد بن أبي زيد، **وشهاب القضاعي، وفصيح ثعلب، وعرض الرسالة** على ولي الله أبي عبد الله الطّنجالي، **وأجازه**)[21]. فقد كشفت لنا هاذه الترجمة جانبا آخر من جوانب الإبداع عند أبي عبد الله الطنجالي، وهي عنايته بالفقه المالكي، وبالرسالة تحديدا، لم أقف على إشارات تفيد هذا الجانب المعرفي عنده.

ومن عقب أبي عبد الله الطنجالي:

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي الطنجالي: (ت733هـ) يكنى **أبا بكر،** ويعرف بالطنجالي، **وَلَدُ الشيخ الولي أبي عبد الله،** وصفه صاحب **ذيل تاريخ مالقة** القاضي أبا الحسن بن الحسن**،** بالجمع بين الدّراية والرّواية، والتراث والاكتساب، وعلو الانتساب، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصول، وطول الألسنة بالطول، وهدوا إلى الطيب من القول، أثر الشموخ يبرق من أنفه، ونسيم الرسوخ يعبق من عرفه، وزاجر الصلاح يومي بطرفه، فتخاله من خوف الله ذا لمم، وفي خلقه دماثة وفي عرنينه شمم. ووصفه بكثير من هذا النّمط ابن الزبير الغرناطي في **عائد الصلة** بأنه كان من أهل العلم والتفنن في المعارف والتهمم بطلبها، جمع بين الرواية

والدراية والصلاح. وكانت فيه خفة، لفرط صحة وسذاجة وفضل رجولة به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيبا جزلا، مع ما كان عليه من التواضع، يحبه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأقرأ به العلم.

ومن شيوخه الكبار الذين أخذ عنهم حسب حكاية ابن الخطيب **في الإحاطة** الأستاذ أبي محمد الباهلي، وأبيه **الولي الخطيب الذي تقدمت ترجمته، وروى عن جدّه أبي جعفر،** وعن الرّاوية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والرّاوية أبي عبد الله بن عيّاش، والقاضي أبي القاسم بن السكوت، وغيرهم ممن يطول ذكره من أهل المشرق والمغرب، مات في حدود الستين. ذكر وفاته ابن الخطيب، فقال: (توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، وكان عمره نحوا من تسع وخمسين سنة)[22]. وأما أبوه فهو:

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطّنجالي أبو عبد الله (ت753هـ) صاحب الرسالة التي نشتغل على دراستها، هكذا حلاه من ترجم له: لوْشي الأصل، مالَقِي النشأة والاستيطان، بيتهم بيتُ علم، نبيهٌ إلى هاشميّة النّبه، وهم ببلَدِنا لوْشَةَ أشراف، وكانت لهم فيها ثَرْوَة وثَوْرة اجتثّها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات. ويمتّ سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة في حديث يستدعي طولا، وانتقل خلفهم إلى مالقة. وكان هذا الولي الفاضل، المجمع على ولايته وفضله، سهل اللقاء، رفيقا بالخلق، عطوفا على الضعفاء، سالكا سنن الصالح من السّلف سمتا وهديا، بصره مغضوض، ولسانه صامت إلّا من ذكر الله، وعلمه نافع، وثوبه خشن، وطعمته قد نفدها الورع الشّديد حتى اصطفاها مختارة، إذا أبصرت بها العين، سبقتها العبرة. بلغ من الخلق الملوك فمن دونهم الغاية، فكان يلجأ إليه المضطرّ، وتمدّ إلى عنايته الأيدي، وتحطّ بفنائه الوسائل،

فلا يرتفع عن كلف الناس ولا حوائجهم، ولا ينقبض عن الشّفاعة لهم، وإصلاح ذات بينهم؛ له في ذلك كلّه أخبار طريفة. واستعمل في السّفارة بين ملكي العدوة والأندلس في أحوال المسلمين، فما فارق هيئته، وركوب حماره واستصحاب زاده، ولبس الخشن من ثوبه. وكان له حظ رغيب من فقه، وحديث، وتفسير، وفريضة، ولي الخطابة ببلده مالقة. ومن حكاياته أن الناس اجتمعوا به في جلسة مكاشفة، وأن الغيث امتنع مدة، وقحط الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله، فضج الخلق بالبكاء والعجيج، ولم يبرحوا حتى سقوا. وله كرامات كثيرة.

❋ شيوخه:

قرأ أبو عبد الله الطنجالي على الأستاذ المشهور أبي جعفر بن الزبير (ت708هـ)، وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رزيق الشافعي، والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، وأبو اليمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات المعروف بالنجَّام، والحسن بن هبة الله بن عساكر، وإبراهيم بن محمد الطّبري إمام الخليل، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطّبري، ومحمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، وأبو الفتح تقيّ الدين بن أبي الحسن فخر الدين، وعبد الله بن محمد ابن أبي بكر الطبري المكيّ الشّافعي وغيرهم. وقد دلت هاذه الإلمامات المختصرة من ابن الخطيب على تتلمذ الطنجالي على علماء المشرق، فقد ذكر جملة من علمائها؛ بل صرح بأنهم أجازوه.

ولا تعنينا طرق التحمل عنهم هل أجازوه عن غيره أم لا، بقدر ما تعنينا دلالة الإجازة عند المحدثين وضوابطها، فالعالم لا يجيز أحدا إلا بعد معرفة حاله، ودرجة علمه، حتى لا يجيز مبتدعا، أو جاهلا.

وأفادنا ابن الخطيب بذكر تاريخ ولادة الطنجالي، ولم يشر أحد إلى هذا في حدود ما

اطلعت عليه، فذكر أنه ولد ببالقة في رجب سنة أربعين وستمائة (640هـ)، ثم ذكر وفاته التي كانت ببالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين سنة (724هـ).

ثم حلاه بأوصاف غاية في الإخلاص والدقة، وأنه لم ينتقص شيء من أعماله المقربة إلى الله، من الصوم والصلاة، وحضور الجماعات، وملازمة الإقراء والرّواية، والصبر على الإفادة، حدّث من يوثق به أنّ **ولَده الفقيه أبا بكر** دخل عليه وهو في حال النّزع، والمنيّة تحشرج في صدره، فقال: يا والدي أوصني، فقال: وعيناه تدمعان: يا ولدي، اتّق الله حيث كنت، واتبع السّيئة بالحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.

❋ تثوير مصادر الترجمة ونقدها:

يظهر اضطراب المترجمين لأبي عبد الله الطنجالي في ذكر تاريخ وفاته، فقد ذكر ابن الخطيب أنه ولد سنة: (640هـ) وتوفي سنة: (724هـ) بعد ذكر تفاصيل مثيرة من حياته، نقلا من **عائد الصلة**، بينما أشار القاضي البناهي إلى أنه توفي سنة:(751هـ) بعد استطراد في وصف حاله، ما أسباب هذا الاختلاف؟ وكيف يمكن تدبيره؟

معلوم أن البناهي وابن الخطيب هما من تلامذة أبي عبد الله الطنجالي، لهذا نستبعد ورود الخطأ منهما، لأن التلميذ غالبا ما ينفرد بأخبار تفوت غيره عن شيوخه، فيكون أدراهم بشيخه لملازمته له؛ إلا أن احتمال الخطأ وارد في نسب الطنجاليين، ولا يمكن أن يتفقا على الخطأ، ذلك ما نثيره ونحاول بيانه من خلال تتبعنا النسب الذي أورده ابن الخطيب في **الإحاطة**، فقد ذكر نسب أبي عبد الله الطنجالي بقوله: (**محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطّنجالي، لوشي الأصل، مالَقي النشأة والاستيطان. بيتهم نبيه إلى هاشميّة النّبه، وهم ببلدنا لوشة أشراف، وكانت لهم فيها ثروة وثورة اجتثّها الدهر ببعض**

طوارقه في أبواب المغالبات، ويمتّ سلفنا إليهم بصحبة ومصاهرة في حديث يستدعي طولا، وانتقل خلفهم إلى مالقة. إلى أن يقول: كان له حظ من فقه وحديث، وتفسير، وفريضة)[23]. هكذا يظهر من تأمل النص أن أبا عبد الله الطنجالي نسبه عريق، نقله ابن الخطيب من **عائد الصلة،** كما ذكر أصلهم، ونسبهم الهاشمي؛ بل أفاد -رحمه الله- مجال اهتمام الطنجالي، وأن له حظا من **الفقه، والحديث، والتفسير، والفرائض،** مما يبوئ الرجل الصدارة في بيت الطنجالي. وقد يعترض علينا معترض، فيشك في نسبة الرجل، وأنه ليس أبا عبد الله الطنجالي موضوع الدراسة؟ وهو اعتراض واه، دل على ذلك ما ذيل به ابن الخطيب ترجمة أبي عبد الله الطنجالي بذكر ابنه أبي بكر الذي توفي قبل والده كما تقدم، يقول: **(حدث من يوثق به أن ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، وهو في حال النّزع، والمنيّة تحشرج في صدره، فقال: يا والدي، أوصني، فقال: وعيناه تدمعان: يا ولدي، اتّق الله حيث كنت وأتبع السّيئة بالحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)**[24]. إلا أن النص يفيدنا من جهة كون المقصود بالترجمة هو **أبو عبد الله،** لكن تأمل النص يطرح إشكالا حقيقيا آخر، لاسيما إذا استصحبنا تاريخ وفاة الابن والأب. فقد تقدم القول أن الابن توفي قبل والده، كما توفي والده أبا عبد الله قبل جده أبي جعفر، أي أن أبا بكر عاش نحوا من ستين سنة، وتوفي سنة: (733هـ)، أي أنه ولد في النصف الأخير من القرن السابع (حوالي670هـ). وبهذا يكون الخطأ واردا من ابن الخطيب أيضا الذي أثبت تاريخ وفاة الأب سنة: (724هـ). ويكون الحق مع البناهي الذي جعل تاريخ الوفاة سنة: (753هـ)، والله أعلم.

ويقود تأمل نص البناهي أن المقصود هو أبو عبد الله الطنجالي والد أبي بكر، ذلك ما لمسناه من صنيعه، حيث نفى أن يكون الطنجالي جدهم الأعلى الذي توفي سنة (651هـ) بقرينة وردت عنده:(...**وكان هذا الرجل المترجم به جلدا، قويا في نفسه، بدنا، طوالا هاشميا، خلقا وخلقا، نبيها، نزيها، خطيبا مهيبا، أصيل الرأي، رصين**

العقل، قائما على عقد الشروط وعلى الحساب والفرائض على طريقة جده وسميه الولي أبي عبد الله)[25]. دل هذا النص من البناهي دلالة واضحة على أن المقصود جد الطنجاليين الأعلى أبو عبد الله، وأثبت تاريخ وفاته بقوله: توفي صدر عام (753هـ) **عن غير عقب من الذكور**. يعني أن ولده أبو بكر توفي قبله. وفجع به والده الخطيب أبو جعفر نفعه الله وأعظم أجره، أي أن أبا عبد الله توفي قبل والده أبي جعفر[26].

وسيزداد الأمور وضوحا في اعتقادي مع ترجمة والد أبي عبد الله الطنجالي، أبو جعفر الخطيب الذي توفي بالطاعون فما قصة والده؟ وما أخباره وما جرياته؟

– هو أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي أبو جعفر، قال ابن الخطيب كان ساذَجاً على سَنَنٍ من الخير وحسن العهد، وكان قد قرأ **صناعة الطب، وهو والد الطبيبة الأديبة أم الحسين [27]،** ولي القضاء بلوْشة بلدُ سَلَفِهِ، وكان حسن الطريقة، مات في الطاعون سنة: (750هـ)[28]. هاذه إفادة من ابن الخطيب أيضا تكذب رواية البناهي وتخلق إشكالا آخر، أي أن أبا جعفر توفي قبل ابنه ولك أن تتأمل تاريخ وفاتهما!!

ومهما يكن من فهم ونظر، فلم يبق لنا إلا أن نشك في رواية البناهي، وهنا لا نستطيع أن ننفي الاضطراب الحاصل بين التلميذين، ابن الخطيب والبناهي أو نثبته. ولكننا نرجع أصل الإشكال إلى أوهام النساخ و المحققين، فلعل تاريخ وفاته حدث فيها تصحيف، فعوض أن يضع (754، كتب 724) والله أعلم.

ولم يقتصر البيت الطنجالي على الرجال دون النساء، فقد انفردت المصادر بأخبار عن أخت العلامة أبي عبد الله الطنجالي صاحب الرسالة، بحكايات ونوادر:

–أم الحسن الطنجالية، بنت القاضي أحمد أبي جعفر الطّنجالي الهاشمي، من أهل **لوشة، وهي أخت أبي عبد الله صاحب الرسالة** التي يأتي ذكرها، نبيلة، حسيبة، تجيد

قراءة القرآن، وتشارك في فنون من الطلب، من مبادئ غريبة، وخلق، وإقراء مسائل الطب، وتنظم أبياتا من الشعر. ذكرتها في خاتمة الإكليل بما نصّه: ثالثة حمدة وولّادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلّدت المحاسن من قبل ولّادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سنّ الولادة. نشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدريجا ولا سهما، حتى نهض إدراكها وظهر في المعرفة حراكها، ودرّسها الطبّ ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه ولها عناية بالشعر[29].

❋ حفيده:

ومن عقب الأسر الطنجالية **الإمام الحفيد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر الهاشمي الطنجالي من** أهل مالقة**، أبو جعفر** أخذ عن أبيه الخطيب **أبي عبد الله المتقدم ذكره،** وأبي عبد الله ابن رشيد السبتي صاحب الرحلة العجيبة، وأبي عبد الله بن ربيع، ومالك بن المرحل المشهور في آخرين، **وأجاز له جده أبو جعفر،** وأبو عبد الله ابن صاحب الأحكام[30]، وأبو الحسين محمد بن محمد بن سعيد ابن زرقون، دَمِثَ الأخلاقِ، قديم العدالة، كثيرَ الحياء، حسَنَ الخَطِّ، كتَبَ الشروط، ثم رفضها مقتصرا على الخطابة والإمامة بمسجد مالَقة. قال ابن الخطيب: رافقني في السفر إلى العدوة، فبلوت منه فضلا وسذاجة، ومات في شوال (سنة 764هـ)[31].

❋ تلاميذ الإمام أبي عبد الله الطنجالي:

تتلمذ لأبي عبد الله الطنجالي خلق كثير، فقهاء، وأدباء، وقضاة، ومفسرون، من أجلهم أذكر الإمام المفسر أبا القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي(ت741هـ) الذي ارتبط اسمه بمصدرين هامين من مصادر الشريعة، وهما: القوانين الفقهية، والتسهيل لعلوم التنزيل. وقد حَفِلَتْ بذلك **الإحاطة** لابن الخطيب في بيان طرق الأخذ عن أبي عبد الله الطنجالي.

ويقودنا البحث في تراث بلاد المغرب الإسلامي، إلى الكشف عن أسرة ابن جزي الغرناطي المفسر، والوقوف معها مليا للتعرف على أثرها بمملكتنا الشريفة، فابن جزي علَم ارتبط اسمه في ذاكرة المغاربة قاطبة بكتابه القيم **القوانين الفقهية**. فصار مصدرا هاما من مصادر حواضرنا التعليمية والجامعية، بل صار يحفظه الطلبة الكبار قبل الصغار، فضلا عن تفسيره **التسهيل** المقرر عندنا اليوم بمدارس التعليم العتيق. لما عرف عن الرجل من حسن التربية والتعليم، واعتدال في اتباع منهج السلف من علماء البيان في تفسير كتاب الله عز وجل.

وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة منهم الكاتب أبو بكر (ت785هـ)، له ترجمة حافلة في **نفح الطيب** للمقري، حيث حلاه بقوله: (له مشاركة حسنة في فنون من فقه وعربية وأدب وخط ورواية وشعر تسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة، وقرأ على والده ولازمه، واستظهر ببعض تآليفه، وتفقه وتأدب به، وقرأ على بعض معاصري أبيه، ارتسم في الكتابة السلطانية لأول دولة السلطان أبي الحجاج ابن نصر، وولي القضاء ببرجة، وبأندرش، ثم بوادي آش)[32]. وله أشعار رصينة وقصائد، صدَّر فيها أعجاز امرؤ القيس، أثبتها المقري في **نفح الطيب**[33]، لمن له عناية بتراث أجدادنا وأسيادنا.

وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى **بالقوانين الفقهية، ورجز في الفرائض**، تقدم قاضياً بغرناطة وأستاذا، وخطيبا بالجامع الأعظم بها إلى حين وفاته، عوضا عن الأستاذ الخطيب أبي سعيد فرج بن لب (ت782هـ) بعد وفاته رحمهما الله جميعا.

-ومن أبناء العلامة ابن جزي أيضا، أبو عبد الله محمد أعجوبة الزمان، إذ تحتفظ كتب التراجم بأخبار سنية عن حاله. فهو الذي كتب **رحلة ابن بطوطة ورتَّبها**. وهو كاتب السلطان المغربي أبي عنان المريني (ت759هـ)، ولما تنازع الكتاب أرباب الأقلام، والرؤساء أصحاب السيوف في تشبيه العذار، وقالت كل فرقة: لا نشبهه إلا

بما هو مناسب لصنعتنا، فلمّا فرغوا، قال ابن جزي رحمه الله:

أتى أولو الكتب والسيف الأولى عزموا *** من بعد سلمي على حربي وإسلامي

توفي أبو عبد الله –رحمه الله– بفاس سنة (758هـ).

وأما أخوهم الثالث فهو القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي، الإمام العلامة الأديب، المعمِّر، رئيس العلوم اللِّسَانِية، وصفه ابن الخطيب بأنه أديب، حافظ، قائم على فن العربية، مشارك في فنون لسانية، وعد شيوخه حيث أخذ عن والده، وعن القاضي أبي البركات ابن الحاج، وابن لب، وابن بيبش، وابن الجياب، وابن سلَمون، والمقري وآخرون.

وتتلمذ لأبي محمد تلاميذ نجباء كابن عاصم، وابن مرزوق الحفيد مالك زمانه وغيرهم. له أشعار كثيرة أوردها ابن الخطيب في **الإحاطة**، و المقري في **نفح الطيب،** توفي –رحمه الله– سنة (758هـ)[34].

بعد هذه الإلمامات الدالة على غنى مصادرنا وتاريخنا، نعود إلى أركان وأصول مترجمنا **الولي الصالح الخطيب أبي عبد الله الطنجالي،** لنواصل البحث عن أجل تلامذته، ونسير خطوة خطوة، لنكشف جيلا آخر ممن أخذوا عنه وسمعوا منه. بل تفيد بعض هذه التراجم جوانب خفية من عناية الطنجاليين ببناء الإنسان.

فقد تتلمذ له أعلام آخرون، وممن أخذ عنه، وشاركه في ابنه أبي بكر **محمد بن قاسم ابن أحمد بن إبراهيم الأنصاري،** قال عنه ابن الخطيب: (عرض الرسالة على **ولي الله أبي عبد الله الطنجالي، وأجازه. ثم على ولده الخطيب أبي بكر،** وقرأ عليه من القرآن)[35]. وفي هذه الترجمة نشعر باطلاع الطنجالي على كتب الفقه ومسائله، لا سيما مصدر المذهب المالكي ورأسه كالرسالة.

- ومن أجل تلامذة الولي الخطيب الصالح أبي عبد الله **الطنجالي الشاعر الأديب لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي،** إذ تحتفي كتب التراجم بمشاهد طريفة، بل حدثنا ابن الخطيب نفسه بأنه كانت بينهم قرابة مصاهرة، وحدثت بينهم مناورات بلَوْشَة كما أسلفت، فأرغموا بعض الأسر العلمية على الخروج منها. إذ كانت للطنجاليين شوكة وقوة، لم يصمد أمامها كثير من الناس. ثم ثار الطنجاليون على لوشة بلد ابن الخطيب ووقع ما وقع لأنهم كانوا أقوياء في الهجمات من التشاجر.

-ومن تلامذته أيضا الفقيه المفتي رأس المذهب المالكي، بل له اختيارات فقهية خارجة عن مشهور المذهب، مفتي غرناطة وخطيبها أبو الفرج سعيد بن لب (ت882هـ)، والفقيه ابن علاق الأندلسي(ت806هـ)[36]، وغيرهما من أعلام المذهب المالكي بالأندلس.

ومن **تلامذته الكبار أبو بكر بن منظور (ت750هـ)** وهو من الذين لم تُثْبِتْ كتب التراجم تلمذتهم للطنجالي، بل صرَّح ابن منظور نفسه في كتابه: **البرهان والدليل من خواص سور التنزيل وما في قراءته في النوم من بديع التأويل**، في أكثر من مناسبة أخذه عن شيخه الطنجالي، حيث نص على أنه حدثه شيخه، وأشار إشارة دقيقة إلى أن شيخه قد حدثه وتوفي رحمه الله، مما يعني أن الطنجالي، توفي سنة (724هـ)، قبل ابن منظور المتوفي سنة (750هـ)، هذا إذا كان الطنجالي شيخه أبو عبد الله مؤلف الرسالة، ووالد أبي بكر الطنجالي، ومن ثم يكون نظر ابن الخطيب راجحا، ورأي البناهي مرجوحا والله أعلم.

*** نسبهم الشريف المنتهي إلى رسول الله ﷺ:**

بحثت مليا عن صلة الطنجاليين بالهاشميين، فلم أهتد إلى ذلك سبيلا؛ بل غاية ما وقفت عليه إلمامة عاجلة أفادنا بها القاضي البناهي، ذلك نصه: (كان شيخنا أبو عبد

الله بن بكر يتوهم في أبي عبد الله الطنجالي السؤدد وهو صبي، وسمعته يقول وقد دخل عليه في مجلس إقرائه بمالقة: هذا هاشمي، أشعري، إذ كانت والدته أمَة العزيز بنت القاضي أبي عامر بن محمد بن ربيع الأشعري. وربما قصد الشيخ بمقالته الوصف بالمذهب الأشعري والتورية. والطنجاليون ينتسبون من أولاد هاشم بن عبد مناف إلى جعفر بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وبنو هاشم آل رسول الله ﷺ)[37]. هذه الإفادة الوحيدة التي توصلنا إليها ولا نملك غيرها حول نسب الطنجاليين إلى آل هاشم. ومهما يكن من تدقيق لهذه المقولة، فإنها تقربنا من أسرة أبي عبد الله الطنجالي، وتكشف أصلهم ونسلهم.

وعدَّ ابن عبد الملك المراكشي من تلامذة ابن ماتع الكناني الإشبيلي أبا عبد الله الطنجالي، وأبا جعفر ابنا يوسف. بل زاد -رحمه الله-، بأنه تتلمذ عليهما[38].

المحور الثاني: الدراسة:

1.نسبة الرسالة إلى أبي عبد الله الطنجالي:

لا يفيد البحث كثيرا في نسبة الرسالة إلى أبي عبد الله الطنجالي، غير رواية حكاها الونشريسي في **المعيار، ونسب الرسالة إلى أبي عبد الله الطنجالي،** بقوله: (ما ورد في براءة يوسف في تأليف أبي عبد الله الطنجالي: هذه مسألة من التفسير تضمنت قصة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لبعض حذاق الأندلسيين، وهو الشيخ، الفقيه، الخطيب، الزاهد، الورع، الشريف، أبو عبد الله محمد بن أحمد الهاشمي الطنجالي-رضي الله عنه- وسماها: **تحقيق الكلام في براءة يوسف عليه السلام.** ألفيتها بخط الكاتب الأبرع، أبي **القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري)[39].**

2. بناء القصة ودواعي التأليف:

انطلق المؤلف-رحمه الله- من مقدمة موجزة أفصح فيها عن دواعي تأليف

الرسالة، وذلك لما سَمعه من كلام الناس واتهام الحشوية ليوسف عليه السلام بأوصافَ خبيثة، حيث ضلوا وأضلوا غيرهم، فانبرى من شدة غيرته على عصمة أنبياء الله عز وجل، ومنهم نبي الله يوسف عليه السلام، أن يقع في فخ امرأة، وصفها المؤلف بالكفر والعناد، والضعف. فأفرد رسالة حقق فيها الكلام، وبرأ يوسف عليه السلام، مما علق به من التُّهَم، ومن الشبه المكدرة التي أطلقها الواشون، الذين تطاولوا على مقامه.

ثم ذكر مقصده من تأليف الرسالة حول قصة يوسف عليه السلام، من تحقيق القول مع المخالف لتبرئة يوسف وتنقية سيرته مما قيل في حقه، وهو مقصد شريف لمن تأمل. فقد حقق الله له المراد كما يأتي من مطلع القصة إلى نهايتها.

بعد ذلك عرض الرسالة على أولي العلم والحلم من أصحابه ممن رأى فيهم أن الله عز وجل رفع قدرهم علما ودينا وورعا، فوافقوه واستحسنوا صنيعه.

ويرى المؤلف-رحمه الله- أن الثمرة المرجوة من هاذه الرسالة لا تتحقق إلا بنشر هذا الكتاب، وبثِّه بين الناس والباحثين لا كتمه عن أنظارهم، ولعل هاذه الثمرة هي التي أسهمت في الحفاظ عليه من الضياع والخسران، وهي التي شجعتني على إخراجه والعناية به.

وبعد المقدمة الموجزة التي رسم فيها أبا عبد الله الطنجالي، ملامح منهجية قوية محترما فيها بناء المقدمات في الثقافة العربية الإسلامية من بسملة وحمدلة وصلاة. انتقل إلى صلب الموضوع، فانطلق في بداية أمره من نصوص قرآنية استدعاها للدفاع عن يوسف عليه السلام، ترفع شأنه وترعاه، ثم ثنى بأحاديث نبوية شريفة، وأخبار سليمة تشهد على منزلة يوسف عليه السلام. ويجمل ذلك قوله: (فمن منزلته إيتاء الله تعالى له الكتاب والحكم والنبوءة والاجتباء، والهدى إلى الصراط المستقيم، والتفضيل

على العالمين، والشهادة له أنه من الصالحين، ومن عباده المخلصين)[40].

وقد غلظ القول كثيرا على الحشوية الذين ركبوا مركبا سيئا في إغراء ضعفاء العقيدة من المفسرين والمؤرخين الذين استجابوا لشنيعهم، وبثوا ما لا يليق بمقام يوسف نبي الله عليه السلام.

ثم تدرج -رحمه الله- في الرد عليهم من خلال مضمون القصة نفسها التي تم تأويلها وفق أفكارهم ومذاهبهم، وجعلوها منطلقا لشبههم الضالة. ثم ضعَّف ما لديهم من حجج واهية وأثبت براءة يوسف عليه السلام واضمحل كل الأوهام والوساوس. وكان دقيقا في تعامله مع المخالفين له. فقدم لهم النص القرآني باعتباره مرجعا حكما بينهما وأنه للتدبر لا للقراءة العجلى المترسَّلة التي لا تخرج دره وفوائده. فقاده تدبره وتأمله للقصة إلى براءة يوسف عليه السلام مشبها ذلك مما قالته بريرة في حق عائشة، بل زاد عليها بما هو أزكى وأطهر، كما يأتي في ثنايا النص.

ثم واصل تسفيه دعاواهم منطلقا من قاعدة أساسية جعلها أرضية لتفسير ما يأتي بعدها، وكان من ذلك أن يوسف عليه السلام لا يوصف بوصف إلا وفقا لهذه القاعدة القرآنية وما جاء فيها، وما قررته وأصَّلَتْهُ. كما أكد سبحانه وتعالى أنه أتاه الحُكْمَ والعلم، ثم رقاه إلى درجة الإحسان في إشارة إلى حديث جبريل عليه السلام.

وأجاد المؤلف -رحمه الله- وتوفق في تأمل الآية وتدبر معانيها، إذ ذكر مواطن الإشكال، من ذلكم ما جاء في قوله تعالى: ﴿**ولقد همت به وهم بها**﴾ **[يوسف:24]**، حيث صرح بأن هذا الموضع تحديدا هو الذي خفي المراد به على كثير من الناس، وزلت فيه الأقدام، واضطربت فيه الأفهام، وكثر الخوض فيه، واتسع الكلام، فمنهم من أورد الكلام في القصة وجعله حكما ثم رجع إليه. وبتأمل الآية وتدبُّر معانيها استنبط المؤلف حججا بينات على براءة يوسف كما في الرسالة.

وأبان تثوير الآية عن منزع بلاغي لطيف يتمتع به الرجل، حيث وقف مليا مع قوله: (الهم) في قوله تعالى: ﴿**ولقد همت به وهم بها**﴾ **[يوسف:24]** فأبعد نسبة الهم للمرأة، ومنع ذلك في حقها رغم كفرها، وعدم عصمتها، واعتبره في حق يوسف أولى لارتباط ذلك بخطرات النفس الخارجة عن إرادتها. ثم استعرض ثقافته اللغوية فأبان عن منزع بلاغي جيد في تفسير الآية، مستحضرا بعض أقوال سيبويه في المسألة لتحرير الخلاف اللغوي الوارد فيها.

ثم حسم المؤلف الخلافَ بعد ذلك في ثنايا الرسالة، وأن من دلائل تحقيق الكلام في براءة يوسف عليه السلام أن القصة من أولها إلى آخرها ليس فيها ما يدل على الإنكار عليه، ولا على الاستغفار مما نسبه الخائضون في أمره إليه. ولوكان كما يقول المخالف لكان فيها مما يليق بذلك ويشاكله مما في أمثالها على رأيه.

القسم الثاني: ملحق لنص الرسالة[41]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وعلى جميع النبيئين والمرسلين، صلاة دائمة أبد الآبدين.

لما ركب الناسُ في قصة يوسف عليه السلام الصعبَ والذلولَ، وأكثروا فيها القالَ والقيل، واستندَ كثير منهم إلى أخبارَ ما لِصِحَّتها من سبيل، وقع في كتبِ من تقدمَ من ذلك لما يقف من سماعِهِ الشَّعَرُ، ويأبى قبوله من له لمحةٌ في صحيح النَّظَر، لحقتني الغيْرةُ لذلِكَ المحَلِّ الشَّرِيفِ، وتاقتْ نفسي إلى الإعْلامِ بثبوتِ بَرَاءتِه في كتاب الله تعالى والتَّعريف، وإلى الاستضَاءة في ذلك بأنوار القرآن، والاقتصَار على مَوارِدِه العَذْبَة

الشافِية عِلَّة الظمئان، فإنه الهدَى والنُّور، والشفَاء لما في الصدور، العُروة الوُثقى، والحَكمُ العدلُ عند مُشتبهَات الأمُور، فَمَا هو إلا أن أعْرَضْتُ عن غيره، وأقبلتُ إليه، وتركْتُ ما سِوَاهُ وعوَّلتُ عليه، فشرحَ الله لما أردتُ صدْري، وبَلَّغني فيه أمَلي ويسَّر لي أمرَه، فقَيَّدْتُ ذلك بالكتَاب، وبَدَا غُرةً مشرقة لأولي الألبابِ، وظهر به فيما قَصَدْتُ الحق وارتفعَ الارتيابُ، ثم لم أزل أعْرضهُ على من أرى أن الله سبحانه رفع قدرَهُ علماً وديناً وأحَلَّه من النَّصيحة لله ولرسُوله ولِكتَابهِ محلاً مَكِيناً فَكُلٌّ أفاضَ في الاستحسان، وشكر الله تعالى على مَنْهَجٍ من البيان والتبيان، ثم رأيت أن ثمرتَه إنما تحصلُ بأن أُشْهِرَهُ وأذيعَه، لا بأن أكتُمَهُ فأُضيعَه، ليبين الصراط المستقيم، لمن كان في العشواء خَابطاً، فيسلك عليه، ويتضح لمن كان في تأويل كلام الله غالطاً فيرجع إليه، والمنن لله سبحانه، وعنده الثواب الجزيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فأقول: إن يوسف عليه السلام من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُم إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام:87] ومن الذين قال سبحانه فيهم: ﴿ **كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [الأنعام:85] ومن الذين قال جل وعلا فيهم: ﴿ **وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام:86] ومن الذين قال فيهم لمحمد نبيه عليه السلام: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام:90]. ومن الذين قال فيهم: ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف:24] ومن قال فيه رسول الله ﷺ: (إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)[42]. وقال النبي ﷺ منبهاً على تحريه وجميل صبره والمحافظة على إبداء براءته وتطهير ذكره: (ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي)[43] رسول الملك الذي قال له: ﴿ **ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ [يوسف:50] إلى غير ذلك مما له في كتاب الله تعالى من عليّ القدر، ورفيع الذكر.

فمن منزلته إيتاء الله تعالى له الكتاب والحكم والنبوءة والاجتباء، والهدى إلى الصراط المستقيم، والتفضيل على العالمين، والشهادة له أنه من الصالحين، ومن عباده المخلصين. وهو ممن أعلم محمدٌ ﷺ بأنه: (الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم)[44]. كيف يسع مسلماً مسامحة من زحزحه عن هذه الدرجات العلى، وقصد به غير قصدها، ورام أن يسلب عنه باهر هذه الحلي، وأن يسميه بضدها، نعوذ بالله من كل نزعة شيطانية، تلقتها بالقبول أغبياء الحشوية، حتى أشاعوها بين المسلمين، وغُرَّ بذكرها ضعفاءُ المفسرين والمؤرخينَ ونعوذ بالله من الشيطان ونزَعاته، ونسأله سبحانه أن يجعلَنا من المتذكرين المبصِرين المتقين الله حق تقاته.

وأقول: إنَّ من نفس القصَّة التي بها ألقى الشيطانُ الشبهةَ إليهم، يتبين الرد عليهم، وتوهين ما لديهم، وتثبت براءة يوسف عليه السلام، وتضمحل تلك الوساوس والأوهام. قال الله تعالى: ﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً**﴾ **[البقرة: 26]**، وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ **[ص:29]** فمن تدبَّره ظفر بمراده، ووصل بتوفيق الله تعالى وفضله إلى صحة عمله، واعتقاده بآيات هذه القصة إذا تأملتها لم تجد فيها من حق يوسف عليه السلام، إلا مثل ما قالت بريرة[45] في حق عائشة -رضي الله عنها- حين سئلت، فقالت: (والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ في تبر الذهب الأحمر)[46]. وأنا أقول: والله ما أعلم على يوسف عليه السلام في كتاب الله الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، إلا مثل ما قالته به بريرة وأزكى وأطهر.

فأول ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ **[القصص:14]** قدَّم الله سبحانه هذه الآية لتكون كالقاعدة لما يأتي بعدها، فلا يضاف إليه إلا ما يثبت معها ويليق بها، فأخبر سبحانه أنه أتاه الحكم، والعلم، وجعل

جزاء المحسنين محولاً على ما أتاه ومشبهاً به. والإحسان فسره النبي ﷺ بقوله:" أن تَعبد اللهَ كأنَّك تَرَاهُ"[47]. فإن لم يكن الأنبياء عليهم السلام أهل التمكين في هذا المقام فمن أهله؟ أفيليق بهم مع هذه المقامات، ما قاله الحشوية في هذه القضية من موافقة امرأة كافرة، ناقصة العقل، عديمة الدين، مترفة في الدنيا طوع يد الشيطان على ما أرادت من قضاء مآربها ومبلغ مطلبها، حتى ينتهي الحال معها إلى ما اختلقوه وافتروه، وزعموا أنهم رووه من حل التكة والسراويل، والقعود بين رجليها، حاشا لله وكلا. والله لا يألف الشكل إلا بشكله، ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر:43] ﴿**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**﴾ [النور: 3] ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [النور:26] فلا شك أن من آتاهم الله الحكْم والعلم، ورقَّاهم إلى الإحسان، لا دخول لهم في رذيل السمات، وواهي السقطات، وإنما يقع في ذلك الجاهل المسلوب ثور عقله المعرض ذكر ربه، قال عليه السلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) الحديث[48]. فإن قالوا: لم يبلغ الأمر إلى هذا. قيل لهم: معلوم أنكم لا تقولون: إن الأمر بلغ هذا، ولكنكم ذكرتم مبادئ قبيحة، ومقدمات خبيثة، وأكواناً محرمة، وهتك أستار محترمة، أتجوز إجابة المراودة، واستعمال الخطأ إلى ما ذكرتم من القعود بين الرجلين، والخلوة، والمكاشفة، والانتهاء إلى حل التكة والسراويل؟ أيهون قول هذا كله بغير علم عند الله؟ ﴿ **وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ [النور:15] وأين أنتم من قوله تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُومِنُونَ وَالْمُومِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾ [النور:12]. ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ**﴾ الآية [يوسف: 23].

تأمل –رحمك الله– ما في هذه الآية من صوْن عِرْضه، ولطيف التَّنْبيه بمُحاشاته من أفعَالها على ذكائه وفَضله، وسَلِّه من موجبِ مَكرِها كما تُسلُّ الشعرةُ من العجين بقوله

تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ**﴾ [يوسف:23] نَسَبَ المُرَاودةَ لها وأفردها بها[49].ثم قال: ﴿**الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا**﴾ [يوسف:23]. فوصل التي هو في بيتها، وذلك لأنه لا يدل إلا على الاستقرار والثواء خاصة. وعدل سبحانه عن أن يذكرها باسمها أو بصفة لها، أو يقول امرأة العزيز، كما قال في الآيتين بعد ذلك، ويصل التي بغير هو في بيتها مع كثرة ما يمكن من أنواع الملابسات والمخالطات، لأن الثواء والاستقرار هو الذي لا عيب فيه على يوسف عليه السلام، ولا شك في صحة أصله إذا كان سيدها قد قال لها أولاً: ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**﴾ [يوسف:21] إذا رجى الانتفاع به. وأن يتبنَّاه، فكان ثواؤه في بيتها عليها كالأمر المفترض ولم يكن دخوله للبيت لإجابة دعائها، ولا لموافقتها على أمر عارض، فإذا اعتبرت وصل التي بما يقتضي الاستقرار والثواء، وجدته في دفع التهمة عنه من قبيل صرف السوء والفحشاء، وسبحان الذي لما أراد أن يعلم بشدة حرصها عليه، وأنها غَلَّقَتِ الأبواب جعل في اسمها جواب من يقول: فما الذي أدخله البيت حتى صارا جميعاً وراء حجاب كلامه أحسن الكلام، وهو البر الرحيم، ذو الجلال والإكرام.

ثم قال: ﴿وَغَلَّقَتِ الأبوَابَ﴾ [يوسف:23] فأفردها بهذا الفعل، ولم يجعل له مشاركة لها فيه ولا في غيره، ولو كان منه عليه السلام حضور شهوة، أو اتباع هوى، لبعد تخلفه عن ذلك كله وعدم المشاركة فيه. ثم قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَت هيت لَكَ**﴾ [يوسف:23] يتضمن هذا خلعها عذارها وفضيحتها نفسها لديه، وتصريحها بما أرادت ونصها عليه، وأمرها به وتأكيده بما لا يشكل ولا يمترى فيه واستعجاله، وفي هذا كله لم يذكر الله تعالى ليوسف عليه السلام قولاً ولا فعلاً فيثبت عليه إليها ميلاً، بل أفرد سبحانه المرأة بهذا الخطاب، ثم ذكر جواب يوسف عليه السلام متصلاً بقولها مستجيراً بربه، وأخذاً في ذكر حقه، وإسباغ نعمة الداعية لشكره ومحذراً من الظلم وسوء عاقبة أمره، فقال: ﴿**مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:23] قيل: أراد بقوله: ﴿**ربي**﴾: الله سبحانه. وقيل: أراد العزيز، **والقول الأول أولى**. لأنه حق الله تعالى،

والقيام به آكد بالتنبيه عليه من حق من سواه. ويتجه القول الآخر على أن يكون خاطب المرأة بما تفهم.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**﴾ الآية [يوسف:23]. قلت: هذا الموضع هو الذي خفي المراد به، فزلت فيه الأقدام، وكثر الخوض، واتسع الكلام. فمنهم من أورد هنا الكلام في العصمة ورجع إليه. ولم أورده لأني لم أحتجه ولقربه لمن أراد الوقوف عليه[50]. وإنما أردت بيان ما ظهر لي **في تدبر تلك الآيات، وذكر ما فيها من الأدلة البينات، على ما نحن بسبيله،** والله الموفق للصواب برحمته فمنه الذي قدمته.

ثم أقول: **إن الهمَّ الذي يرجع إلى الكلام النفس وخطرتها المعارضة في مبادئ الأمور ملازماً للإرادة. ولعل إلحاقه بالإرادة أقرب**. وهو لا يتعلق بالذوات، وإنما يتعلق بالأفعال، وهو أيضاً لا يتعين فيه فعلٌ بل يصلح للتفسير لمختلف الأفعال.

وأقول: إن المرأة المراودة عن نفسها، كانت إذ ذاك كافرة كما تقدم، غير ذات عقل ودين، مبتلاة مشغوفة. ومع هذا فسيأتي الكلام مع بلاغة الكتاب العزيز وإيجازه، يمنع من تفسير الهم المنسوب إليها بأنه إرادة الأولى فـ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾. وإذا لم يسغ صرف معنى الهم في حق المرأة مع ما هي عليه إلى ذلك، فصرفه إليه في حق يوسف عليه السلام أبعد من جهة **اللفظ والمعنى.**

فبان من ذلك أن الكتاب العزيز أفصح الكلام وأحسنه مساقاً، وأبعده عما يعرض في كلام البشر من الحشو والتكرار الذي لا يفيد، والطول الذي لم تدع حاجة إليه.

ونحن إذا تأملنا هذه الآية التي هي: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا**﴾ [يوسف: 24]. وجدنا قبلها قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ**﴾ الآية [يوسف:23]. قد أنبأت على المراودة، وتغليق الأبواب، وتصريح المرأة بما أرادت، والنص عليه، والدعاء إليه، واستعجاله والتأكيد

فيه يوسف عليه السلام على ذلك الجواب الجازم الذي ليس فيه مواعدة ولا تطميع من غير توان وبيان ما عنده من رعي حقوق الله سبحانه وربوبيته، والاعتراف بنعمته، وأنه لا يفلح من ظلم إلى غير ذلك مما دل عليه الكلام، وهذا كله في غاية الوضوح والبيان. فكيف نحمل ما جاء بعده من لفظ: ﴿**همت به**﴾، المستغلق إبهاماً، الكائن في النفس بمنزلة الخطرَات الأول، العارضة، على أنه إخبار ثان مما بيناه، والنص عليه في الآية قبله، ونحمل على هذا الكلام الله تعالى مع أن له محملاً سواه، يفيد معنى زائداً ويجري على ما تقدم، لا ينافره ولا يأباه.

ألا ترى أن مثل هذا لو وقع فيما بيننا لكان للسامع أن يقول: قد تقدم تحديثك بهذا وبسطه، فلم كررته في لفظ إنما ينبئ عن ذكره في النفس وعن إرادته؟ إنك ما أفدت شيئاً. ولا يحسن إيراد الحديث فمثل هذا لا يحسن أن يحمل كلام الله عليه، ولا أن يفسر الهم به، لأنه تكرار لا يفيد، ووضعٌ لا يليق بوجيز الكلام وبليغه.

وأيضاً فإن جملة: ﴿**هَمَّتْ بِهِ**﴾ **[يوسف:24]**: جاءت مصدرة بلام الابتداء وحرف التحقيق الذي يصير الكلام بهما بمنزلة المقسم عليه. وما ذلك إلا لتأكيد الخبر، والاعتناء بالإعلام به. فكيف يُذكر بعد هذا الاستفتاح ما قد سبق بأبين من هذا، كمن يستفتح الكلام مؤكداً فإذا أُصغي إليه لا يقول شيئاً. فإن قلت: إنما المراد ما عطف على: ﴿**همَّت به**﴾. وذكرت همت به توطئة له. قيل لك: لو كان كما قلت، لاقتضى الإيجاز الاستغناء عن هذه التوطئة، لأنه قد نبين أنها تكرار أقرب إلى المعنى منه إلى الاختلاط بكلام الناس، فكيف بالكتاب العزيز؟ وأيضاً (**فإن كلام العرب على تقديم ما بيناه أهم وهم به أعنى)**[51] قاله سيبويه-رحمه الله-. فلو كان ما قلت لكان الكلام: ولقد همَّ بها. ويأبى الله ذلك وما أنزل به من سلطان. والقرآن من أوله على تأويل المخالف لا يثبت به له شيء، ولا مستند له فيه. وهو محل النزاع، فلا حجة فيه. فتعيَّن

صرفُ الهم في حقهما إلى ما يفيد معنى لم يتقدم ذكره، وذلك أن المرأة كانت تجد في نفسها عِزَّةً لكونها امرأة العزيز، وربَّة المنزل، وأنه في كفالتهَا، وتحت حكمها، وأنها نزلت له عن رتبتها، وأطلعته على مكتوم أمرها، وجاءت عليه بنفسها، وألقت عليه جلباب حيائها، فلم يلتفت إليها ولا عرج عليها، ولا وجدت عنده إلى ما دعت إليه، ولا نالت مما رجته؛ سوى أنها امتلأت عليه حِقْداً وغضباً وعدَّته مُشمتاً بها، إذ لم يقض لها إرباً. فهمَّت به. أي: تأخذه بالعقوبة انتصاراً لنفسها لما جعلت إبايته عصياناً لأمرها. فالهمُّ هنا كما في قوله تعالى: ﴿**وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ**﴾ [غافر:5] وهمَّ أيضاً هو بدفعها عن نفسه ومقابلة ما يقع من فعلها ذلك بمشاكلة ومثله، كما تقول: كان بيني وبين فلان كذا وكذا. وقال لي كذا وكذا. وقلت له حتى لقد همَّ بي إذا أردت بلوغ الغاية في المغاضبة.

وبهذا يستقيم إيراد القصة مكمَّلة مرتَّبة على حسب وقوعها في الوجود من المراودة وتغليق الأبواب واستنهاضها ذلك الحال، وتأكيده بقولها: ﴿**هيتَ لَكَ**﴾ **[يوسف:23]** وجواب يوسف عليه السلام، وما حدث عندها من أجل الجواب ومن الهم بالعقوبة، وما هَمَّ به من الانتصار، وما أراه الله تعالى من البرهان الذي رجح به الهرب منها والفرار أمامها ﴿**وَاستَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ**﴾ **[يوسف:25]** وما ذكر بعد ذلك كله وجيز بليغ عزيز لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه. وعلى مأخذ المخالف، لا يكون له معنى إلا تكرار بعض ما نص عليه أولاً من حال المرأة، ونسبه يوسف عليه السلام إلى ما برأه الله منه وشهد له بخلافها وما ذكر من اعتقادها العزة والعلو عليه بين في قولها: ﴿**وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ **[يوسف:32]** فهذا هو الذي يلزم أن يحمل الهم عليه في حقهما معا، والله أعلم.

وإذا صح حمل الكلام على هذا، فقد زال اللبس، وارتفعت ضغطة الشبهة،

واطمأنت النفس، وانحل العقال، وانفصمت عروة الإشكال.

ومما يدلك على صحة القول ببراءة يوسف عليه السلام، أن القصة من أولها إلى آخرها، ليس فيها ما يدل على الإنكار عليه، ولا على الاستغفار؛ مما نسبه الخائضون في أمره إليه. ولو كان كما يقول المخالف لكان فيها مما يليق بذلك ويشاكله مما في أمثالها على رأيه. انظر قصة **آدم عليه السلام** في موضعها، تجدها معمورة من ذلك، مما يناسبها وفيها المنة بالتوبة والإغاثة بالرحمة. وكذلك في قصة **نوح في سورة هود** عليهما السلام، حيث قال تعالى: ﴿ **فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ **[هود:47]** وأين سؤال نوح عليه السلام مما نسبه **الحشوية ليوسف في ذلك المقام. وفي قصة يونس، وفي قتل موسى عليه السلام القبطي، وفي قصة داود عليه السلام** في قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ**﴾ **[ص:34]** الآيتين؟

ففي هذه المواضع من ذكر المناسب لها ما لا خفاء به، وليس في قصة يوسف عليه السلام من مثل ما تقدم شيء؛ بل فيها خلاف ذلك وعكسه، وهو وصف قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ **[يوسف:24]** بما عدوه نصاً على الخطأ ودليلاً عليه، فأضافه جل وعلا إلى نفسه وقوله: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ **[الصافات:111]** إضافة التشريف، ووصفه بالإخلاص الذي هو أجل ما يمدح به العباد، ومثل هذا في سياق واحد، مع ذكر قبيح الخطأ في بليغ الكلام، غير مألوف ولا معروف ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ **[النساء:82]**. فإن قلت: فما محمل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**﴾ **[يوسف: 53]**. قلت: هو محتمل أن يكون من قول يوسف عليه السلام، وأن يكون من قول المرأة، واحتماله يسقط الاعتراض. وعلى تقدير أن يكون من قول يوسف عليه السلام يكون من الاعتراف أن الهدى والتوفيق والعصمة إنما هو الله

سبحانه، كما قال: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ **[يوسف:33]** فهو يتبرأ من حول نفسه، ويُسند الإنعام بالهدى إلى ربه. وفي الحديث الصحيح فيما يرويه رسول الله عن ربه: (يا عبادي كُلُّكُم ضَالٌّ إلا من هَدَيْتُه فَاسْتَهْدونِي أَهْدِكُم)[52]. وعلي ذلك قول الخليل عليه السلام: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الاصْنَامَ**﴾ **[إبراهيم:35]**. وادعاؤه، مع أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ**﴾ **[الأنبياء:51]**. وهم أتقى الخلق لله، وأكرمهم عليه عليهم الصلاة والسلام، وما زال أهل الفضل والمعرفة يلومون أنفسهم ويقبحون عليها فهذا من نحو ذلك، والله أعلم.

فإن قلت: فما البرهان المذكور؟ قلت: قال **الإمام أبو الفضل بن الخطيب في كتاب الأربعين** له: (يجوز أن يكون لما همَّ بدفعها في نفسه، أراه الله برهاناً على أنه إن قدم على ما همَّ به من دفعها أهلكه أهلها، وأنها تدعي عليه المراودة على القبيح، وتنسبه على أنه دعاها إلى نفسه، ضربها لأجل امتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف عنه بالبرهان السوء والفحشاء، وهو القول المكروه، وظن القبيح واعتقاده فيه)[53]. **انتهى ما قال الإمام.** وهو قول حسن ويؤيده ما ظهر في **الوجود** من قدِّ القميص من دُبُرٍ في الفرار أمامها الذي ينبئ عنه قوله: ﴿**وَاسْتَبَقَا البَابَ**﴾ **[يوسف: 25]** وجعل الله تعالى قد القميص من دُبر حاكما له عليها، ولعله لو لم يفر أمامها ويترك ما همَّ به من دفعها لكان قد القميص من قبل؛ فتقوى الشبهة وتلحقه الإذاية والتهمة من أهلها، فأراه الله تعالى بالبرهان حُجَجَ تركه الانتصار، فكان الأمر كذلك ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ**﴾ **[يوسف:25]**. وظهرت براءته، وثبتت الخطيئة عليها، وقيل لها: ﴿**إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ**﴾ **[يوسف:28]** وله: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ **[يوسف:29]**. ثم يقال للمخالف: هذا الذي زعمت أنه وقع من حل التكة والسراويل وما لحقت به. متى كان؟ أعند قولها هيت لك أم بعده؟ فإن قال: كان قولها. قيل له: إن علام الغيوب الشهيد على كل شيء قد

أكذبك. فإن قال في حكاية القصة: ﴿**وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ**﴾ [يوسف:23]. ولم يذكر في أثناء ذلك فصلاً بفعل ولا قول. وإن قال: بعد ذلك. قيل له: قد أكذبتك المرأة وشهدت ببراءته أولاً وآخراً في حديثها مع نسوتها، حيث قالت: ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾ [يوسف:32]. ولو كان كما قلت لقالت: فَهَمَّ، ثم لم يفعَل، أو فاضْطَرَبَ أو نحو ذلك. فهذه الجهاتُ تدُل بجملتها ومفرداتها على جلالة قدر يوسف عليه السلام في احتمال الصبر والبلوى، وأن الله تعالى ذكرها مباهاةً بما أودعه من الإخلاص والتقوى، وليس من القصص المذكور بما يحمد صاحبه أو يلام. وإنما هو شرح **خصائص ومناقب** أوجبت أن يقال عن أهلها: ﴿**فَبِهُدَاهُم اقْتَدِه**﴾ [الأنعام:90] لنبينا عليه السلام. وكل ما تقدم إنما هو متلقَّى ومستقرى من القرآن وليس فيه حكاية عن أحد؛ إلا ما ذكرته من قول الإمام في تعين البرهان، وهو قول حسن لا ينبغي العدول عنه. فقد صح -بحمد الله- ما قلته، وثبت ما تأولته، وبلغ الغاية في الوضوح والبيان الذي لا إشكال فيه ولا تعارض. يحدثنا فلان عن فلان، ولا يرده قول أحد كائن من كان، وقد كفى الله سبحانه بما فتح وألهم مؤونة الحشوية ومن تبعهم إذ ليس بأيديهم ما يعول عليه، ولا ما يرجع عند التحقيق إليه؛ إلا ما يُعلم بطلانه قطعاً من قولهم عن ابن عباس أنه سئل عن **القَدْرِ** الذي انتهى إليه الأمرُ. فقال: قعد بين رجليها وحل التكية والسراويل. وفي آخر: الهميان والمئزر. أفيصح في اعتقاد محصل أن ابن عباس يقع في عِرض مسلم هذا الموقع لو كان حقا؟ فكيف والله سبحانه قد بين في كتابه ما حصله برد اليقين أن يوسف عليه السلام لم يفارق حال عباد الله المخلصين، وبين أن هذا السؤال بحث عما لا يعني، وأن الجواب عليه غيبة أو بهتان، فكيف يُقر عليه ابن عباس، ثم يجيب عنه؟.

ومما يدل على فساد مُنتحلهم **وَقْفُهم** هذا على ابن عباس، وهو أمر لا يدرك **بالرأي ولا بالقياس**، ولو كان ما زعموا حقاً لكان ابن عباس **يرفعه** إلى النبي ﷺ. ونحوه في

الفساد قولهم: إن جبريل عليه السلام قال ليوسف عليه السلام لما قال: ﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ [يوسف:52] ولا حين همت. انظر ما أبين بطلان هذا. الله تعالى أورد القصة كلها متضمنه رعي يوسف وبره، فكيف يصح عن جبريل الرد عليه، وتذكيره بأمضى من أمره؟ وأيضا فشيء من أمر جبريل عليه السلام لم يذكر في القرآن، ولا ثبت عن النبي ﷺ، يمكن الاطلاع عليه. والحديث الذي ذكروه في هذا هو حقاً انفرد به صاحب البرهان المرغوب عنه، محتجاً به لنفسه، فلا عبرة به. ومن نحو هذا كثرةُ ما ذكروه في البرهان الذي رأى فذكروا أشياء يخالف بعضها بعضاً. ويدل اضطرابهم فيها واختلافهم على أنهم لا يعتمدون على واحد منها ولا يتحققون فكذلك جميعها، فليس في مسألة إلا ما في كتاب الله عز وجل.

وقد تقدم بيانه وهو كاف شاف والحمد لله. وعليه حذاق أهل السنة، وأولي العلم والفطنة. ونقول لمن غفل ولم يبال بما نَقَلَ، فمن كان منهم من المحمولين في أحواله على الصحة والسلامة، فنقله في ذلك زلة عالم، لا حكم حازم. ومن سواهم فمردود عليه قوله، أو من نسب إليه ما لم يصح نقله.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليماً.

ـ لائحة المصادر والمراجع:

- **الإحاطة في أخبار غرناطة،** لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: يوسف علي طويل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: (1424هـ، 2002م).
- **تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام والمشاهير،** شمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، سنة: (1424، 2003م).
- **التحرير والتنوير،** محمد الطاهر بن عاشور، نشر الدار التونسية للنشر والتوزيع (د.ت).
- **تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني،** تحقيق: ياسر بن إبراهيم، نشر: دار الوطن، الرياض، سنة النشر: (1418هـ،1997م).
- **التكملة لكتاب الصلة،** لأبي عبد الله بن الأبار، تحقيق: عبد السلام الهراس، نشر: دار الكفر،

بيروت، لبنان، سنة النشر: (1415هـ، 1995م).
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، (د.ت).
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي**، تحقيق: إحسان عباس، بشار عواد معروف، محمد بنشريفة، الطبعة الأولى، (2012م) نشر: دار الغرب الإسلامي، تونس.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين الألوسي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: (1415هـ، 1995م).
- **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج ابن الجوزي، زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، نشر: المكتب الإسلامي، سنة: (1404هـ،1984م).
- **شجرة النور الزكية**، محمد بن محمد بن عمر بن مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: (1424هـ، 2004م).
- **صحيح البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار ابن كثير، دمشق سنة: (1423هـ، 2006م).
- **صحيح مسلم**، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج، بعناية أبو قتيبة نضر محمد الفاريابي، الطبعة الأولى، نشر: دار طيبة، سنة: (1427ه، 2006).
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر: المكتبة السلفية، (د.ت).
- **الكتاب**، أبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، (1402هـ، 1982م).
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الطبعة الثانية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سنة: (1428هـ، 2007م).
- **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، أبو الحسن علي البناهي، تحقيق: مريم طويل، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: (1415هـ، 1995م).
- **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، نشر: دار طيبة، سنة: (1409هـ).
- **معجم البلدان**، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، نشر: دار صادر بيروت، (1397هـ، 1977م).
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار

صادر بيروت، (1408هـ، 1988م).

الحواشي والإحالات

[1]- ينظر: **التحرير والتنوير**، الطاهر ابن عاشور، نشر الدار التونسية للنشر والتوزيع (د.ت)65/1 فما فوق.

[2]- ينظر: **تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني**، نشر: دار الوطن، الرياض، (1418هـ،1997م) 6/3.

[3]- ينظر: **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، نشر: دار طيبة، سنة: (1409هـ).408/2.

[4]- ينظر: **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج ابن الجوزي، زالطبعة الثالثة، نشر: المكتب الإسلامي، سنة: (1404هـ،1984م) 284/4.

[5]- ينظر: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين الألوسي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: (1415هـ، 1995م). 75/13.

[6]- ينظر: **معجم البلدان**، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، نشر: دار صادر بيروت، (1397هـ،1977م) 26/5. باب اللام والنون.

[7]- ينظر: **نفح الطيب**، أحمد بن محمد المقري، ط1، دار صادر بيروت، (1408هـ، 1988م) 148/1.

[8]- ينظر: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: (1424هـ، 2002م)،95/1.

[9]- **الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب**، 154/2.

[10]- **الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ،** 226/2.

[11]- **الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ،** 172/3.

[12]- نسبة إلى قبيلة تسولة البربرية، ولد سنة (690هـ) من أهل فاس، نزيل مالَقَة، يكنى أبا عبد الله، غزير الحفظ، متبحر الذكر، ينقل الفقه منسوبا إلى أهله، ومنوطا برجاله، والحديث بأسانيده ومتونه، أخذ عن أعلام كثر بالمغرب والأندلس. عد ابن الخطيب مؤلفاته من **عائد الصلة** لصاحبه وتلميذه ابن الزبير فذكر أنه ألف: الغرر في تكميل الطرر، وطرر أبي إبراهيم الأعرج، والدرر في اختصار الطرر المذكور. وله تقييدان على الرسالة، كبير وصغير، ولخّص التهذيب لابن بشير، وحذف أسانيد المصنفات الثلاثة، البخاري، والترمذي، ومسلم، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك الصّحاح الواقعة في التهذيب على مسلم والبخاري. وقيّد على مختصر الطّليطلي، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض. ينظر ترجمته في: **الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب،** 3/98-99.

[13]- **الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب،** 3/98-99.

[14]- **الإحاطة في أخبار غرناطة، ، لسان الدين ابن الخطيب،** 417/4.

[15]- ينظر: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي**، الطبعة الأولى، (2012م) نشر: دار الغرب الإسلامي، تونس، 213/2.

[16]- أحمد بن علي بن محمد بن علي الأنصاري، مالقي، أبو جعفر، ابن الفحام، ينظر ترجمته في: **التكملة لكتاب الصلة،** لأبي عبد الله بن الأبار، نشر: دار الكفر، بيروت، لبنان، سنة النشر: (1415هـ، 1995م) رقم:307، **والذيل والتكملة**، ابن عبد الملك، 499/1.

[17]- **الذيل والتكملة**، ابن عبد الملك، 499/1.

[18]- ينظر: **تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام والمشاهير**، شمس الدين الذهبي، نشر: دار الغرب الإسلامي، سنة: (1424، 2003م)، 716/14. وينظر: **نفسه،** 748/14، الترجمة رقم: 128.

[19]- ينظر: **الذيل والتكملة**، ابن عبد الملك، 31/1.

[20]- **الذيل والتكملة**، ابن عبد الملك، 49/1.

[21]- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، 149/3.

[22]- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب 127/3.

[23]- تقدمت.

[24]- تقدمت.

[25]- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب

[26]- ينظر: ص159.

[27]- في **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب: أم الحسن، ولم أَقف على ترجمة ابنها.

[28]- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لسان الدين ابن الخطيب، 215/1.

[29]- ينظر: **نساء أعلام الأندلس**، ص3.

[30]- محمد بن أحمد بن يوسف بن محمد الأنصاري من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن صاحب الأحكام، سمع أبا سليمان داود بن يزيد السعدي وأبا الحسن بن الضحاك الفزاري وغيرهما. وأجاز له مرتين أبو الحسن شريح بن محمد وأبو القاسم بن رضي وأبو الحكم بن غشليان، وأبو محمد بن بقي القيسي وكانت إجازة شريح له ولأبيه في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، روى عنه من الجلة أبو القاسم الملاحي وابن فرقد وغيرهما وكان موصوفا بالصلاح والعدالة حسن الخط يعقد الشروط ولد سنة: (530هـ)، وتوفي سنة: (614هـ). ينظر ترجمة: **التكملة**، ابن الأبار، 109/2.

[31]- ينظر **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، (د.ت) 210/1. وينظر: 297/1. وينظر: 106/85.5/5.

[32]- ينظر ترجمته في: **نفح الطيب**، المقري، 517/5.

[33]- **نفح الطيب**، المقري، 518/5. **مطلعها:** أقول لعزمي أو لصالح أعمالي+++ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي. **نفح الطيب**، المقري، 518/5.

[34]- ينظر ترجمتهم في: **نفح الطيب**، المقري، 518،538/5.

[35]- ينظر: **الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب،** ج3/148.

[36]- سبط ابن جزي الغرناطي، ينظر ترجمته في: **شجرة النور الزكية،** محمد بن محمد بن عمر بن مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه، عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: (1424هـ، 2004م).

[37]- ينظر: **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا،** أبو الحسن علي البناهي، ، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: (1415هـ، 1995م). ص159.

[38]- ينظر: **الذيل والتكملة،** ابن عبد الملك المراكشي، /567.

[39]- حكى ابن الخطيب ما دار بينهما من مراسلات شعرية ونثرية، بعد ذكر أخباره وما جرياته، ثم ذكر كنيته، أبا القاسم، ونسبه، حيث يعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب، ثم ذكر بعضا من شيوخه، كالمقرئ أبي محمد بن أيوب، والأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش، والخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، والقاضي أبي بكر بن منظور. ثم وصف شعره وأن شعره ونثره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجادة. ولم يفت ابن الخطيب أن وصف خطه البارع، وفهمه العميق المتسارع، ثم ذكر أن له قصائد حسنة مشهورة، أنشدها للسلطان أمير المسلمين، وقصائد أخرى نظمها لأغراض شعرية كالمدح والثناء. ينظر ترجمته في: **نفح الطيب،** المقري، 3/333 فما فوق.

[40]- ينظر: **الرسالة،** موضوع التحقيق.

[41]- وهي مستلة من موسوعة: **المعيار المعرب في تاريخ إفريقية والمغرب** للونشريسي، اعتنيت بها تخريجا وتوثيقا، وإقامة وتصويبا.

[42]- ينظر: **صحيح البخاري،** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار ابن كثير، دمشق سنة: (1423هـ، 2006م).كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين)، 6/419.

[43]- **نفسه،** 6/416.

[44]- تقدم تخريجه.

[45]- بريرة صحابية جليلة، قيل أنها ليست المقصودة في الحديث وإنما صحابية غيرها، ووقوعها في القصة وهم، لأن القصة وقعت بعد فتح مكة.

[46]- **نفسه،** ج8/470.

[47]- طرف من حديث جبريل المشهور، ينظر: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري،** نشر: المكتبة السلفية، (د.ت) 13/425.

[48]-حديث أبي هريرة، وفيه: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم، وهو

مؤمن". ينظر: **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، كتاب الحدود، باب: الزنا وشرب الخمر، ج59/12.

[49]- ذكر ابن عطية أن المراودة: الملاطفة في السوق إلى غرض، وأكثر استعمال هذه اللفظة إنما هو في هذا المعنى الذي هو بين الرجال والنساء، ويشبه أن يكون من راد يرود إذا تقدم لاختبار الأرض والمراعي، فكأن المراود يختبر أبدا بأقواله وتطلقه حال المراود من الإجابة أو الامتناع. ينظر: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، الطبعة الثانية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سنة: (1428هـ، 2007م). 232/3.

[50]- لمن أراد الوقوف على معرفة ما قيل في هذا الباب، يرجى العودة إلى قصة يوسف في كتب التفسير، ففيها ذكروه غنية.

[51]- ينظر: **الكتاب**، أبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، (1402هـ، 1982م)34/1.

[52]- حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وهو حديث قدسي معروف. ينظر: **صحيح مسلم**، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج، الطبعة الأولى، نشر: دار طيبة، سنة: (1427هـ، 2006) باب تحريم الظلم، رقم الحديث:2577.

[53]-لم أقف على النص ولم أهتد إلى ترجمة صاحب، لكن وقفت على نسبة الكتاب في **الإحاطة** في ترجمة ابن الضائع، هكذا قال: (ومن كتاب الأربعين لابن الخطيب). ينظر: **الإحاطة**، 95/4.

House of Imam al-Wali al-Saleh al-Qadhi Abu Abdullah al-Tangali al-Hashimi (D 753 Hj)

By: **Abderrahim Elismaili**
Establishment Dar El Hadith Al Hassania - Rabat
abderrahim.elismaili01@gmail.com

Abstract:

This scientific article comes within a large scientific project which I chose to work on during my scientific path . It aims highlighting North African muslim scholars' efforts. either printed , as a maniscript or lost . it's object revolves around follwing the lineage of the Tanjali Hashimi house.

Keywords:

Tanjali; his book; Yusuf -peace be upon him-; Al Andalous.